Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أن هذا الشعر لم يكن البانى الرئيسى لها بقدر ما كان المعبر الصريح عنها، فميزته تتمثل فى شفافيته وقدرته على تمثل الرأى العام والنطق بصوته أكثر من صناعته أو قيادته. ويتعين علينا حينئذ أن نطرح سؤالين أساسيين على عينة هذا الخطاب :

أولهما : ما هى منظومة القيم النهضوية الجديدة التى بشّر بها وتبناها؟

وثانيهما : هل نجح فى ترسيخها وتحويلها إلى رؤية استراتيجية تحدد المسار الذى تتوجه إليه الثقافة العربية الحديثة؟

وبقدر ما نقيم القرائن الدالة من قلب الشعر ذاته والمتمثلة فى عدد من القصائد الناجعة فى التعبير الجماليّ الراقى عن هذه الرؤية – فإنّ درجة ذيوعها بين المتلقين وحظوتها فى أوساطهم، تُعَدُّ برهاناً فنياً وسوسيولوجياً على تمثيلها للرأى العام الذى تساهم فى تكوينه وتحديد اتجاهه . فالشُّهْرة بهذا المنظور ليست فعلاً عشوائياً يكتسبه المبدع بطريقة مجانية، وإنما هو مكافأة المجتمع لمن يقدر على تجسيد حلمه والتعبير عن رؤيته، وقد كانت "إمارة" شوقى للشعر انتخاباً ثقافياً لا يخضع لمؤامرات السلطة، كما كانت "عمادة" طه حسين من بعده للأدب العربىّ استمراراً لهذا المنظور، على ما بينهما من اختلاف يعكس مستجدات المرحلة التالية وانتقال بؤرتها من الشعر إلى الفكر النقدىّ.

وحتى نعاين نماذج محددة من شعر شوقى النهضوىّ – نودُّ أن نشير بإيجاز إلى حقيقة تغيب عن بال الكثيرين وهم يتحدثون عن العقل العربىّ ومساحته وامتداداته، فلا يصبح بوسعهم قياسُ درجة نضجه أو قصوره ؛ إذ إنهم غالباً ما يقصدون بالعقل ما يتم فيه التفكير باللغة فحسب ليشمل منظومة الإنسانيات بفروعها المختلفة، أما أنواع التفكير الفنىّ بموادّ أخرى سوى اللغة فلا تدخل عادة فى حسابهم . فإذا كان الشعر بمعناه العام الذى يشمل بقية الأشكال الأدبية من رواية ومسرح، يعتمد على التفكير باللغة – فإن الفنون الأخرى تصنع الفكر بموادّ مخالفة؛ كالموسيقى بالأصوات والرقص بالجسم والرسم بالألوان والنحت والعمارة بالكتلة والمساحة، وحتى آخر العنقود فى أسرة الفنون وهى السينما التى تُعتبر فنّ التفكير بالصور المتحركة . فمساحة العقل إذن لابد أن تشمل هذه الفضاءات فى الإبداع الحضارىّ.